هوية الشباب في خضمَ ثقافة العولمة

فتيحة حرات
جامعة بجاية

مقدمة:

انتشار ثقافة الاستهلاك ، هو أبرز مؤشر للنجاح الاقتصادي ، فكلما توسعت رقعة استهلاك المنتجات الاقتصادية ازداد الربح للشركات الكبرى المنتجة. منطق الربح هذا، المرتبط بالانتشار الثقافي أي بانتشار السمات الثقافية في الدول المستهلكة وخاصة منها غير المنتجة كدول الجنوب التفتت إليه الدول الغربية المنتجة مبكرا واستثمرت فيه. فعملت عن طريق وسائل الإعلام على الدعاية والإشهار لمنتجاتها عن طريق الدعائم الفنية التي تعتبر ذاتها منتجات ثقافية وتجارية في الوقت نفسه، وأبرز المستثمرين بلا منازع هي الولايات المتحدة.

لقد كان الإبداع الفني لوقت طويل عبارة عن تهيئة مجال لغزو ثقافي ومن ثم اقتصادي، إذ كلما تأثر الأفراد بنموذج حياة الأمريكيين، وانبهروا برفاهيته، أرادوا تبنيه، وإذا كانت المجتمعات الغربية المنافسة قادرة على توفير ذالك النموذج لنفسها، فإن باقي الدول تلتجئ للأمركيين الذين يبدعون في تلبية المطالب ليزدادوا ثراء وقوة وهيمنة. أرادت الدول الأوربية والأسيوية المتطورة الصمود في منافستها، وفرض نفسها وضمان حصتها الاقتصادية من استغلال دول الجنوب، فصار الاتفاق على عولمة الاقتصاد لصالحها على حساب الجنوب لأن القوى غير متكافئة.

عولمة الاقتصاد إذن مرتبطة ومتلازمة مع عولمة الثقافة لأن الإنتاج كما الاستهلاك، إن كانا عبارة عن قيمتين اقتصاديتين فهما مسجلتين أيضا ضمن نمط حياة يؤثر أو يتأثر بالقيم الثقافية. لذلك يشمل بحثنا على ترابط بين مفاهيم أساسية هي الثقافة ، العولمة ، والهوية الثقافية نحددها في ما يلي :

1-جدلية الثقافة و العولمة:

كانت الدراسات النثروبولوجية الأمريكية أهم مجال تطورت في إطاره نظريات الثقافة والتي أعطت لمفهومها محتوى علميا، ونذكر من بينها نظرية الحاجيات **لمالينوفسكي (Malinowski)**[1]، التي كشفت على أن العناصر المكونة للثقافة لها وظيفة تتمثل في إرضاء حاجيات فيزيولوجية أساسية للإنسان (كالطعام، الإنجاب والحماية) فالثقافة تمثل الإستجابة الوظيفية لهذه الأوامر الطبيعية، بحيث أنها في استجابتها تنشئ مؤسسات من شأنها أن توجد حلولا جماعية منظمة في المجتمع، ثم تنشق من ذلك مؤسسات أخرى تتواصل في الاشتقاق كلما ازدادت و تطورت وتحدد أنماطا معيشية.

واعتمادا على المعطيات الحالية للمجتمعات الحديثة أثرى **شومباردولو Chombart de Lawe** [2]تلك النظرية بإظهار التباين في تدرج الاحتياجات حسب مختلف الثقافات، ويرتبط ذلك مباشرة بتدرج القيم، فالتطور العلمي والتقني يعدل كثيرا من سلم قيمنا بما أنه يحتم علينا إدخال قيما جديدة، ويفتح آفاقا جديدة وبالتالي هناك احتياجات تعتبر طموحا، ويعتبر إشباعها غير ضروريا، فتصبح بالتدريج ضرورية عندما يرتفع المستوى المعيشي في المجتمع. وذلك ما تعمل عليه الدول المتطورة بالإشهار لمنتجاتها المسهِّلة لنمط حياتها عبر قنوات الإعلام لاسيما الفضائيات، فهو إحداث نمو لا متناهي للاحتياجات خاصة لدى أفراد دول الجنوب حتى يصبح إرضاؤها ضروريا وتطالب بالاستهلاك، فيكون لها شرف الإرضاء بكسب أموال طائلة.

لكن نظرية الحاجيات واشتقاقها لا تفسر لنا كليا الوضع الراهن بين دول الشمال والجنوب في جدلية الثقافة والاقتصاد، إذ لا يمكن إهمال مفهوم التثاقف الذي لولاه لم يكن لمفهوم الثقافة أن يكتسب الصبغة العلمية الكاملة بجهود **باستيد(Bastide**[3]، فتوظيف هذا المفهوم يعد من أهم الوسائل المفسرة لتأثير العولمة الثقافية خاصة لما صنف في تعريفه، ثلاث أنماط من التثاقف: تثاقف عفوي طبيعي وحر، ويكون التغير ضمنه ناتج من اتصال ثقافتين من مستوى متماثل واحتكاكهما ببعضهما، تثاقف عمدي ومحقق بالقوى، لا تستفيد منه سوى جماعة واحدة كوضعية الاستعمار والعبودية، وتثاقف مخطط موجه، ويتم على المدى الطويل[4]، وهذا الأخير هو الموظف من طرف دول الشمال للتأثير ثقافيا على دول الجنوب لنشر سماتها الثقافية التي من شأنها توجيه مجالات نمو الاحتياجات حسب منتجاتها الاقتصادية،خاصة وأن الكثير من أفراد المجتمعات النامية تؤد بهم تنشئتهم الثانوية لاتخاذ جماعات مرجعية حسب تعبير **ميرتن (Merton)**[5]مؤثرة بحكم التثاقف فتكون عاملا أساسيا في صدور ممارسات وأفعال متناقضة، لصدامها بقيم تقليدية ثبتتها التنشئة الأولية، إن التأثير الذي لا يتم بين ثقافتين من نفس المستوى يعد سلبا ثقافيا أكثر منه تثاقفا.

من المعلوم أن التبادل في الملامح الثقافية كما يبينه نظريات التثاقف، لا يتم بنفس المستوى بالنسبة لجميع الثقافات، إذ نعلم بأن الثقافة الغربية والأمريكية بالأخص، هي الأكثر تأثيرا على باقي الثقافات نظرا لقوة اقتصادها وهيمنتها العسكرية والسياسية، وهنا يتجلى لنا الارتباط الشديد ما بين البنية الاقتصادية والبنية الثقافية للمجتمع، بحيث أصبحت الملامح الثقافية تحمل في دعائم لها، وفرتها الصناعة، فبفضل قوة تطور الصناعة وإتقانها، أصبحت الثقافة ذات انتشار واسع وعميق عن طريق مختلف المنتجات الثقافية.

فالثقافة الضعيفة كثقافات مجتمعات دول الجنوب قد تتعرض جزئيا أو كليا لعملية تفكك وانهيار حسب قدرتها للمواجهة، وتختلف قدرة الأنظمة الثقافية في مواجهة الاستيراد الثقافي والقيم الثقافية الخارجية، وبالتالي كلما ازداد حجم الفوارق بين القيم المستوردة قلت قدرة التثاقف المعنية في تمثيلها للقيم الثقافية.[6]

إن الفوارق شاسعة بين ثقافات الشمال وثقافات الجنوب، فالأولى تمثل الحضارة وهذه الأخيرة تستعمل عامة لتميَز ثقافة من مستوى عالي والتي توصلت إلى درجة مرتفعة من التطور والتي تقاس عن طريقها شعوبا أخرى، أقل منها درجة في التطور، وفي هذه الحالة نتكلم عما لاحظه **ابن خلدون**[7]: "...إذا كان أمة تجاور أخرى ولها الغلبة عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه والإقتداء حظ كبير... لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات اللإستلاء".

ولعل تعريف **تايلور(Tylor)**[8] للثقافة يعد من أشهر التعريفات على الصعيد الأنثروبولوجي لشموليته، لكن نظرا لتعدد تعريفات الثقافة، يمكننا أن نكتفي بتعريف لا يقل شمولية **لجان بيير فارني (Jean Pierre Warnier)** الذي عرَف الثقافة على أنها "شمولية معقدة متكونة من مقاييس وعادات ومجموعة سلوكيات وتصورات مكتسبة من طرف الأفراد بصفتهم أعضاء في المجتمع، وكل ثقافة هي منفردة ومرتكزة جغرافيا أو اجتماعيا وتعتبر موضوع التعبير بلغة، وعاملا للتشخيص بالنسبة للجماعات والأفراد وكذا عاملا للتمييز بالنسبة للآخرين... وبإعطائها محاور مختلفة للسلوك والتصور وكذا الاختيار، تؤدي الثقافة وظيفة البوصلة أو التوجيه ".[9]

فالثقافة إذن هي مجموعة قيم موجهة للسلوك هي بمثابة البوصلة. فإذا تعرضت الثقافة لاستلاب ثقافي أو لتثاقف غير متكافئ أضحى الأفراد مذبذبين بلا توجيه ولا هوية واضحة .

الثقافة والهوية:

كلمة هوية مشتقة من كلمة "هو" والتي تعني جوهر الشيء ودقيقته[10]، عادة ما يقترن مفهوم الثقافة بمفهوم الهوية، لكن الفرق بينهما واضحا، فإذا كانت الثقافة داخلة في سيرورة واعية وقصدية من شأنها توجيه المجتمع ، فالهوية تعكس مقياس انتماء واع بالضرورة وتكون مبنية على رموز، ثقافة المجتمع تميزه عن المجتمعات الأخرى. فضمن المجتمع تمركز الهوية الاجتماعية للفرد حسب انتمائه في فئة معينة كفئة الجنس والسن والطبقة الاجتماعية، وحسب أمة ما فهي تمكنه من أن يمركز نفسه، كذلك الهوية الاجتماعية تميز الجماعات ضمن المجتمع. [11]

نلاحظ إلى اي درجة يصل الترابط الوثيق والتداخل بين المفهومين إذ يكادان أن يكونا مرادفان. فإذا تحدثنا عن الهوية الاجتماعية فالفرق يمكنه أن يتجلى لنا، في حين إذا ذكرنا " *الهوية الثقافية* " فلا يمكن فصل المعنيين عن بعضهما.

تعتمد الهوية على ركائز أو مقومات من شأنها أن تحدد إطار الانتماء والذي يمثل هو نفسه ثقافة مجتمع أو ثقافة أمة، لذلك كان تحديد المقومات متباين بين الباحثين، كل حسب قناعته البحثية وأولوياته، فكانت لدى البعض: " الأسس التي تمثل صلب الهوية الثقافية،

العقيدة، اللغة، التاريخ والماضي المشترك، العادات والتقاليد، العقد الاجتماعي السياسي، الحقوق والحريات ،الأدب والفنون و طريقة التفكير " [12]، ويرى البعض الآخر: " أنها دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى ".[13]

ويرتب البعض الأولوية في المقومات :« اللغة هي التي تلي الدين، كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى، ثم يأتي التاريخ وعناصر الثقافة المختلفة في صنع الهوية ". [14]

الدين، اللغة، الأعراف التي تتكون عبر تاريخ يتقاسمه شعب أو أمة أو طائفة، التعاقد السياسي والقانوني حول مشروع مجتمع، كلها مقومات تصب في قالب الثقافة، وعولمة الثقافة من شأنها أن تضعف وتذوَب هذه المقومات تأثرا بالثقافة الأمريكية، فإذا ضيعت أمَة مقوماتها الشخصية ضيعت مناعتها التي تمكنها من فرض نفسها اقتصاديا وسياسيا على الساحة الدولية، فتصبح مثلما تريدها الولايات الأمريكية خاضعة، تابعة ومستسلمة لإرادتها وهيمنتها، سواء في القرارات التي تخص سيادتها كدولة أو في القرارات الدولية.

ضغوط العولمة على الهوية الثقافية:

العولمة كظاهرة بدأ انطلاقها في بداية الثمانينات وهي مرتبطة بثلاث أحداث كبرى سياسية، وتقنية، واقتصادية: سياسيا ظهرت مع انتهاء المواجهة بين الشرق والغرب وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الشرقي،وقد تزامن ذلك مع الثورة التقنية بالأخص المعلوماتية ، حيث شهدت هذه الفترة طفرة تقنية هائلة في مجال الاتصالات الإلكترونية وانتقال المعلومات، حيث ساهمت مساهمة فعالة في حدوث العولمة.

واقتصاديا ظهور منظمة التجارة العالمية عام 1995، لتخلف الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية وكتتويج لانتشار مذهب التبادل الحر واقتصاد السوق الذي بات أيديولوجية تسيطر على العالم، وهو ما وافق عليه قادة العالم عام 1998، وظهور الشركات متعددة الجنسيات.

للعولمة عدة ظواهر التقدم الهائل في وسائل الاتصال، لا سيما ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية، هيمنة الغرب لا سيما أمريكا، وتأخذ هذه الهيمنة أبعاداً عسكرية واقتصادية وثقافية واقتصادية، بروز المؤسسات الدولية والشركات متعددة الجنسيات.[15]

لما أخفقت الدول العظمى في احتلالها العسكري نتيجة المقاومات الشعبية التي واجهتها في معظم البلدان التي عرفت احتلالا، وانتقلت الصدارة في القوة إلى الولايات المتحدة، عمدت هذه الأخيرة إلى إيجاد أسلوب جديد للهيمنة، تعوض به التدخل العسكري

المباشر خاصة وأنها نفسها أخفقت في سياسة ملء الفراغ في الفيتنام وتعرضت لمقاومة شرسة وانتقادات لذعة من طرف مواطنيها ، فكانت العولمة أنجع فرصة لها بعد احتلالها موقع الريادة على الساحة الدولية.

تختلف تعريفات العولمة بين المفكرين ، حيث يركز كثير من الكتاب على الجانب الاقتصادي وينبه على خطورتها من هذا الجانب بزيادة الفقر وتكدس الأموال وخدمة الشركات الكبيرة واضمحلال الصغرى أو إيجابيتها من انفتاح الأسواق وزوال الحواجز عن الأيدي العاملة، ومنهم من يبشر بها باعتبارها تحرر من الدول المغلقة وانطلاق نحو العالمية والتقدم ومنهم من يركز على الجانب الثقافي وأضراره، ومنهم من يأخذها بمفهومها الشامل، وهذا الاختلاف بسبب ذكر كل واحد جانباً من الموضوع.[16]

في هذا المجال تناقش **سمير أمين** و **برهان غليون** على مدى خطورة العولمة أو مسالمتها، فيرى **سمير أمين**"أن الجديد يأذن بنشوء موجة ثالثة من الغزو الاستعماري، ولا يبشر بحضارة عالمية إنسانية أخذت في المخاض. "أما **برهان غليون** فيعتبر أنه "لا يمكن تقليص العولمة إلى الإستراتيجية التي طوَرتها الولايات المتحدة لتحقيق هيمنتها المطلقة والأحادية إن العولمة بوصفها إعادة هيكلة للاقتصاد وللجيوسياسة العالمية تفترض مرحلة خطيرة من التفكك وانعدام الاستقرار و الاضطراب ".[17]

إذا كان الخطر الاقتصادي قائما من جراء العولمة فأكثر ما ينصب التفكير حوله هي الهوية الثقافية للمجتمعات.إن عولمة الثقافة هي إحدى نتائج التطور التقني في المجتمعات المصنعة، وبالأخص الولايات المتحدة، وبالتالي ما تسعى إليه ثقافة هذا المجتمع هو الانتشار، وما دامت الثقافة أصبحت منتجات صناعية فالانتشار الثقافي إضافة إلى هدف إيديولوجي، له غرضا اقتصاديا متمثلا في الاستلاء على السوق الدولية لتحقيق الأكثر من الربح، جعله أكثر ضراوة ومنافسة، فاتحاد السوق على المستوى الدولي يعني "الدخول في منافسة ما بين الشركات المنتجة لمنتجات ثقافية من أشرطة وأفلام وبرامج وجرائد وكتب وكل الدعائم المختلفة، وكذلك ما يتعلق بالأكل والإطعام السريع وكذا أمور الصحة، السياحة والتربية "[18]، أي كل ما من شأنه أن يدخل عناصر جديدة لثقافات المجتمعات المختلفة، هذا الاتجاه الثقافي الجديد، جعل الكثير يشعرون بأن "العصرنة ستجمع ثقافات العالم تدريجيا نحو نموذج موحد".[19]

عولمة الثقافة، لا تقتصر فقط على أسواق وعلى منتجات صناعية بل إنها أعمق من ذلك، بحيث حين تسرب في التركيبة الثقافية قيما، لتغير من عناصرها تستقر ضمنها، وإن كان بعض الأفراد أو المجتمعات مثلما يرى **فارنيي** بإمكانها التصدي اعتمادا على قوة هويتها، والتي تدعمها قوة اقتصادها، نتيجة وعيها بإلزاميته، وتمكنها من وسائله، ففكرة "الثقافة العالمية "أو "الحضارة العالمية" مثلما يفضل تسميتها **شومباردولو**"لا تصبح خطيرة وغير مقبولة، سوى إذا كانت في فائدة حضارة ما مهما كانت.[20]

وتتباين المواقف حولها في درجة قبولها وخطورتها، إذ نجد أن الغربيين أنفسهم قد تنبهوا إلى خطورتها رغم انهم يتقاسمون والولايات المتحدة الكثير من السمات الثقافية والكثير من المصالح. حيث جاء الصمود في وجه التجانس الذي تفرضه العولمة، من طرف دول غربية كفرنسا وكندا لمحاولة إدخال التعددية الثقافية وحماية الإبداعات الفنية ضمن العلاقات الاقتصادية ،كون الاعتبارات الثقافية لا تقل أهمية عن الاعتبارات التجارية، لقد حاول الممثلون الحاضرون لهيأة الأمم المتحدة للتربية العلوم والثقافة UNESCO التوصل إلى اتفاق دولي ذو صبغة ضاغطة من أجل حماية تعددية الثقافة. كان الهدف من الناقش هو الوصول إلى التفكير في إيجاد المعايير والتدابير حول برنامج يضمن التكافىء بين ما يفرضه اقتصاد السوق والمتطلبات الثقافية، الاجتماعية والسياسية، في إطار إنشاء اتفاقية دولية حول التعددية الثقافية (CIDC).

كما تناول الحوار أيضا موضوع الهوة بين دول الشمال ودول الجنوب التي تتعرض للعولمة بأكثر حدة كونها لا تمتلك وسائل إتباع سياسات ثقافية، خاصة وأن التدفقات الإعلامية تسير بينها وبين الغرب بطريقة غير متوازنة، خاصة مع الموقف الرافض للولايات الأمريكية لمثل هذه الاتفاقية.[21]

إذا كانت بعض دول الغرب نفسه يشكو من عولمة الثقافة على الهوية، فما بالنا بالدول النامية الضعيفة، فخوفا على الهوية الفرنسية لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة.[22]

الكثير من المفكرين المسلمين ينبهون على خطورتها من كل الجوانب خاصة وأن الهيمنة الثقافية تحاول أن تقضي على قيم الشخصية الإسلامية مع استغلال الثروات اقتصاديا "العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيماً تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة. إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنساني للهيمنة على الاقتصاديات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر والحصول على أكبر قدر من المستهلكين، وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسويق مطلباً إنسانياً قديماً وحيوياً ومشروعاً، فإن ما يحدث هنا يختلف في أنه بحث يمارس منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية ويؤدي من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية".[23]

على المستوى الأيديولوجي تعني الهيمنة الثقافية لظاهرة العولمة، هيمنة النموذج الأمريكي على ثقافات الأمم باستهداف الثقافات المحلية والإقليمية بالزوال اعتبارا أن اخطر الغزو الثقافي التغريبي ذو الوجه الجديد والقديم لازال قائما و أشد شراسة ضد الهوية الثقافية.[24]

ويعتبرها البعض الرؤية الإستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها، وأطماعها، سائرة نحو ذلك الهدف على ثلاثة مسارات متوازية، الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة...(الدول الصناعية السبع والشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاقتصادية العالمية، صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية) وتضبط حركته قوانين السوق وآلياته.

والثاني: سياسي ويهدف إلى إعادة بناء هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت، وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية... وأخيراً المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم، بغية اكتساح العالم بثقافة السوق [25]، ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب... بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام 1985، مؤتمر القاهرة عام 1994، ومؤتمر بكين عام 1995، ومؤتمر اسطنبول عام 1996، ثم مؤتمر نيويورك عام 1999، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام 2000، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث ... إلخ .[26]

إذا تم التوفيق في إدخال القيم الثقافية الغربية خاصة منها الأمريكية فإن الغرب يكون المرجع الرئيسي لكل التابعين فالهيمنة تصبح شاملة حينما تزول الضوابط العقائدية أو الثقافية. لذلك تركز العولمة الثقافية على الأسرة وأكثر الفئات تركيزا هم الشباب، لأن توافق هذه الفئة مع ثقافة العصر يضمن مستقبلا مبشرا باستهلاك واسع وربح وافر للمنتجين، كما يخلّص السياسيين من مواجهة مفترضة لمشاريعهم .

فالإقدام على هذه الثقافة الشبابية والاستهلاكية، من مأكولات وشخصيات أفلامها، تأتي من مصدر واحد موجودة تقريبا في كل العالم، مما يثير مدى موقف الثقافة المحلية منها العربية في مواجهة الغزو الثقافي الغربي.[27]

الثقافة المحلية العربية لم تعد قادرة على المواجهة كونها نفسها تتلقى تنشئة من العولمة، إن التواجد الثنائي لثقافتين متناقضتان في مجتمع واحد دون توفيق واع بينهما، كتواجد الثقافة التقليدية للمجتمعات النامية والثقافة العصرية العالمية لا يمر دون أن يحدث اضطرابات تشل الوعي بما يحدث عالميا، "... فهذين الحركتين العكسيتين(سلم قيمي تقليدي ونظام اجتماعي ثقافي عصري) أحدثتا اختلال في التوازن بظهور سمات ثقافية خاصة، بحيث أن الفرد وجد نفسه في وضعية تناوب قادرة على أن تحدث اختلال في شخصيته بالمعنى المرضي".[28]

إن تواجد عدة ثقافات في مجتمع واحد أو لدى الفرد لا يكون ذو منفعة مثلما نعتقد، بما أنها تعطي للفرد إمكانية الاختيار بين عدة قيم وعدة حلول وعدة مقاييس، بل إنها بذلك بمثابة باب مفتوح على الشك والقلق.[29]

معظم المجتمعات العربية تعيش هذه الوضعية بما في ذالك الجزائر. ووضعية التذبذب الثقافي الذي تعيشه تكاد ان تصل لأزمة هوية.

يعيش الأفراد حياتهم اليومية بانقيادهم للتأثير المتواصل لكلا النسقين الثقافيين، فالنسق الثقافي التقليدي يعتبر النسق الأصلي لحياتهم الاجتماعية، لذلك لم يستطع التثاقف بتأثيره القوي تحطيمه، فاستمر تواجده مع الواقع الجديد، رغم أنّ هذا الأخير يستمرّ في فرض نفسه نتيجة التأثير العالمي للثقافة الغربية، وعلى رأي "**عدي**" تعيش سيرورة العصرنة في الجزائر على نمط الازدواجية"،[30]ان رجال الأجيال الجديدة هم أكثر انفتاحا على العصرنة من سابقيهم ،لكن انفتاحهم لا يعني الدخول إليها بعد ،في حين إنها تمثل لهم بحث ،عن طريق علاقات اجتماعية جديدة ،داخل النسق الاجتماعي الموجود، هذا الأخير يعد ذو ازدواجية قوية :من جهة يمثل مجتمع تقليدي قابل لفكرة العصرنة، ومن جهة أخرى، مجتمع في البحث عن الانفتاح، وهذا الأخير يعتبر مجتمع الشباب.[31]

في هذا اللإطار وجهنا بحثنا الميداني الذي سنعرض نتائجه بعد أن نقدم المنهجية المتبعة.

منهجية البحث

تساؤلات الإشكالية:

المحافظة على جزء من القيم الثقافية التقليدية لدى معظم الأسر الجزائرية أكده العديد من الباحثين، في حين يبقى تأثير القيم العصرية ذو وقع شديد على المجتمع نتيجة عولمة النموذج الثقافي الغربي الذي لا يعرف انتشاره تراجعا، و نجده بالتالي مهددا لوجود القيم الأصلية المعبرة على الهوية الثقافية بتعويضها بالقيم التي تفرضها عولمة الثقافة. فئة الشباب هي الأكثر تكيفا مع التغيرات الاجتماعية نحو ثقافة العولمة فإلى أي مدى وصل استيعابهم لقيمها ، وما هي أوجه تبنيهم لها ؟على ماذا يتم الإقبال و ما يرفض منها ؟

الفرضية:

تقبل فئة الشباب على استيعاب واسع لقيم الثقافة العالمية، إذ يصل تبنيهم لها ليشمل نموذج حياتهم اليومية وكذا طموحاتهم المستقبلية، في حين يواجه إقبالهم بتصدي قيم تقليدية راسخة في الأذهان تترجم بمواقف رافضة لبعض الممارسات.

مجتمع و عينة البحث الميداني :

قمنا ببحث ميداني على عينة من الشباب، حيث تناولنا دراسة عينة متكونة من 234 شابا وشابة، أخذت من الجزائر وبجاية، بالاعتماد على تقنية الاستمارة، فركزنا على نشاطاتهم ، طموحاتهم ومواقفهم من بعض الممارسات.

النتائج المستخلصة من البحث :

رسمت لنا نشاطات المبحوثين الشباب نموذجا لحياتهم العصرية المتأثرة بوضوح بالعولمة الثقافية، فنشاطاتهم ومواقفهم من بعض المواضيع أظهرت نسبهم العلية في اتجاههم المباشر لثقافة العولمة.

1 عولمة نشاطات الشباب:

على غرار شباب العالم يقوم شباب عينتنا بنشاطات تسلية عدة أهمها الانترنت، ممارسة الرياضة، الاهتمام بالموسيقى، بالتلفزيون، الذهاب للمقهى، ممارسة الصيد، التسوق بالنسبة للبنات، التنزه مع أصدقاء، الألعاب، الاحتفال بمناسبات معينة كأعياد ميلاد الأهل والاصدقاء، رأس السنة الميلادية وعيد الحب.

64،95 % من العينة صرحوا بأنهم لا يخبرون أوليائهم بكل ما يقومون به من نشاط وهذا مؤشر عن تنشئتهم المتحررة فهم يشبهون إلى حد كبير شباب المجتمعات الغربية من هذه الناحية، خاصة عندما يصرح بعضهم بقول "أنا حر" و" أنا مسؤلة عن نفسي" . كما قد يكون مؤشرا على رفض الأولياء لبعض النشاطات، في حين يصرَ عليها الشباب وهذا دليل أخر على تأثرهم بالثقافة العصرية العالمية.

ومن جهة أخرى ذكر البعض رفض الأولياء لجزء من التسلية التي اقترحها الشباب، ومنها التردد على المراقص والسينما للبنات، ممارسة الموسيقى، التمثيل والرقص، فإذا بقي بعض الأولياء متمسكين بثقافتهم التقليدية التي ترفض تلك الممارسات، نجد الشباب تأثروا واهتموا وطالبوا، وربما رفض الأولياء يجعل منها إصرارا أو طموحا.

2 حرية اختيار المطالب:

وفي اختيار اختصاصاتهم التعليمية أكد الأبناء بنسبة 81،48% على حريتهم التامة في ذلك وفي فرض أنفسهم إذا ما أسرَ أوليائهم على التدخل، من هنا نستنتج أثر العولمة على الأولياء أنفسهم الذين انتهجوا تعاملا ديمقراطيا مع أبنائهم بتشجيعهم على حرية الاختيار. ومعظم المبحوثين إناثا وذكورا لهم الحرية في اختيار اللباس الذي يريدونه، سواء كان على الموضة أو غيرها، وهذا مؤشرا على نوع من الحرية التي يوليها الأولياء، إلى جانب ذلك

يتمتع الأبناء من جراء محاسن النموذج العالمي بالحصول على المصاريف اليومية إذ صرَح 68،45% من المبحوثين أنهم يتلقون يوميا مبلغا من المال لتأمين مصاريفهم بما في ذلك التسلية، النقل و الأكل.

3 الموضة مؤشر على العولمة:

ومن أبرز السمات الثقافية المستوردة التي تتجلى في أوساط الشباب الاهتمام بالموضة، بما في ذلك موضة الهيئة من لباس وتسريحة شعر وإكسسوارات و امتلاك الوسائل الجديدة الإلكترونية التي تكون على الموضة. في هذا الصدد ذكرت نسبة 50،11% من العينة، أنها تهتم كثيرا و بصفة دائمة بالموضة ونسبة 15،81% تهتم بصفة منقطعة، وردد المبحوثين في هذا المجال تعبير:" أريد أن أكون عصريا"،"إنها الحضارة " و"إنها العولمة" "، "حتى أشبه العالم" . تدخل الأناقة الأفراد ضمن الجماعة التي يريدون التوافق معها: "أن أكون مثل الباقي "، "أنا لست مختلفة "، "حتى لا أخرج عن نطاق المجتمع"، وتدل هذه الوحدات على أن نطاق الموضة في المجتمع جد منتشر، والذي يهملها قد يكون مهمَشا: "لأكون في نفس مستوى الآخرين "، أو قد يشعر بأنه أقل مستوى من غيره ،فذالك يكون دافعا أساسيا للاهتمام بها. لكن التأثر بحضارة العصر أيضا يعد واضحا، حسب التصريحات: "كالحضارة"، و"العولمة"، فلدى الكثير إتباع الموضة هو أحد أقوى المؤشرات على التأقلم مع العولمة ،خاصة وأن تلك الطريقة ،أسهل من غيرها للظهور بمظهر العصر، فهي أسهل من التعليم الذي يتطلب جهدا فكريا، فتبقى الموضة الأكثر بروزا والأسهل إتباعا.

4 المتطلبات العصرية للشباب :

إن للحياة العصرية المعقدة متطلبات كثيرة وجديدة ،تظهر كلما جدَ التطور التكنولوجي، كلما ظهر منتج جديد تم تسجيله في الثقافة العصرية وروجت له العولمة ،وبات من المتطلبات التي يصبوا لامتلاكها الشباب كونها من الموضة، فمتطلبات الجيل الحالي لم يعهدها الجيل السابق، خاصة في ميادين الاتصال والتسلية . يطلب الأبناء من أوليائهم أشياء متعددة:

الألبسة، مواد التجميل ،إكسسوارات أخرى ،العطور والمجوهرات، طبعا هذه المتطلبات كلها تتماشى مع تطور الموضة، لأنه مثلما يظهر في مختلف المجالآت النسوية، تكتمل الأناقة بطقم كامل من اللباس والأحذية وألوان معينة في التجميل تتلاءم وألوان الألبسة، مع إكسسوارات من ألوان وأحجام معينة كالحقائب والأحزمة والحلي لها دور في إبراز الأناقة. وكل الصور الجميلة التي تعرضها المجالات والتي تبثَ من خلال القنوات التلفزيونية، تترك واقعها الخاص على الشابات.

الشباب يطلبون التقنيات الحديثة للدراسة، فالأقراص المضغوطة أصبحت مثل الكتب تحتوي على معلومات، فهي لدى الطلاب ذات أهمية، وبالتالي استخدام الإعلام الآلي ولوازمه، الكمبيوتر المحمول بات ضرورة ملحة حتى يسهلوا على أنفسهم استعماله متى شاؤا دون إحداث المشاكل مع الإخوة. وهذا ما يجعل الأولياء في مواجهة وضع مادي متغير، فهو يتعقد أكثر فأكثر، لأن متطلبات الحياة العصرية ، تزداد نفقاتها لا متناهية، كذلك الألعاب الإلكترونية، وأكثر ما يطلبون هو شراء الأقراص المضغوطة للألعاب، بالإضافة إلى أقراص الموسيقى والأغاني والأفلام للتمتع بأكثر عدد من الأغاني. الهواتف النقالة منتج تكنولوجيا الاتصال الأكثر شيوعا، الهاتف المحمول تعبئته، فالنفقات لا تتوقف عند شراء الهاتف، وإنما هي مستمرة كلما جدد الإنتاج لأحدث الهواتف ذات القدرات العالية، وتصبح أكثر ثقلا على المبحوثين كلما أزداد عدد الأبناء المطالبين بالتعبئة ،للتكفل بمكلماتهم اليومية .

تبدأ المتطلبات صغيرة، بحيث شراء الأقراص والبعض من الألعاب لا يعد مكلفا كثيرا، وتكبر كلما كبر الأبناء سنا، حيث يطلب الشباب جهاز تلفزيون خاص بهم إضافة إلى هوائيات، للحصول على مختلف القنوات الفضائية، وسيارة، وكذلك شقة.

نلاحظ بأن طلبات الشباب، تؤكد على رغبتهم في الاستقلالية في البيت وفي وسائل النقل، وحتى من البيت بطلب الشقة، وعامة يطلب الأبناء من أوليائهم أشياء مكلفة في حالة ما إذا لا حظوا القدرة المادية على الإنفاق ،ويظهر واضحا تأثير النموذج العصري ما ينمي الرغبات أكثر فأكثر.

إن الحياة العصرية التي تفرضها العولمة في تأثير مستمر على حياة الشباب ،فالحصول على الوسائل التكنولوجية أصبح ضمن قيمهم، وبالتالي هي في تأثير على الأولياء الذين أصبحوا ملزمين بتوفيرها لأجل إرضائهم ، وتفادي الصراع الذي قد يحدث من جراء رفضهم .

5 تحقيق الطموح في ظل العولمة :

ولتحقيق كل ما يصبون إليه، إن الكثير من الجامعيين كانت إجاباتهم تنطبق مع الاختصاص الذي هم بصدد التكوين ضمنه، كالصحافة مثلا ،لكن البعض الأخر، لهم طموحات تختلف عن اختصاصهم، وكذالك بعض العاملين في قطاعات معينة لهم طموحات أخرى مثل العمل بالتجارة الذي أخذ حصة الأسد25.64 % ،بين الوظائف المفضلة، وفي كل الأحوال سواء كانت المهنة أو الوظيفة التي يطمح إليها ،تتماشى والتكوين أو تختلف عنه، نلاحظ أن معظم المبحوثين يتماشون مع الواقع المعاش الذي يفرض تكاليف باهظة، إذ كلنا يعلم بأن التجارة أصبحت محققة للنجاح، لأنها ببساطة مدرة للأموال، فالضرورة الاجتماعية المتزايدة في مجال الماديات فرضت هذا الواقع ، فأصبح الشباب حتى ولو كانت لديهم شهادة، يفضلون النجاح في المجال الأسهل والمربح،لأن الشهادة أصبحت تقابل

بالبطالة، أو قبول مناصب دنيا من حيث المكانة الاجتماعية والمرتب الشهري، فالتجارة، أو الأعمال الحرة، أو المهن الحرة ،لا تجعل الشباب ينتظرون كثيرا لممارستها ،وإنما تؤهلهم لحرية الممارسة والخوض فيها سريعا. الوظائف الحرة كذلك، كوظيفة المحاماة أو الطب أو الصيدلة ذكرت أيضا، من طرف الحاصلين على شهادات فالبعض يمارسها، والبعض لم يمارسها بعد ويطمح لممارستها فنلاحظ إلى أي مدى هيمنة المادة على قيم الشباب تأثرا بثقافة العولمة.

الطموحات المادية أمر طبيعي وعادي لدى البشر ، ولأننا في مجتمع متأثر بالتغيرات ويؤكد يوميا على ضرورة الماديات في الحياة ،من الطبيعي أن تولد تلك التأثيرات طموح لدى الأفراد يتخذون استراتيجيات لتحقيقه .وقد أجمع المبحوثون في معظمهم على إرادة تحقيق مشاريعها بمفردهم باستقلالية تامة84.61% ، وإثبات الذات ، وذكروا لنا مخططاتهم لتحقيق مشاريعهم.

يحقق المبحوثين طموحاتهم عن طريق الدراسة: "النجاح في الدراسة"، "المثابرة في الدراسة "، "بأن أتم دراستي إلى الآخر". ونتيجة ذالك النجاح تظهر عن طريق نيل الشهادة، التي تفتح المجال للحصول على العمل. وحتى يكسب المبحوثين منه مالا كافيا ذكروا بعض الوسائل: "التفاني "، "الجدية "، "التضحية "، "المثابرة "، "الصراع " و"الإرادة ".

فالإصرار على الارتقاء في العمل في ارتباط وثيق بتحقيق الطموح ، فهي المحرك الأساسي لهذه الإرادة القوية لدى الشباب ، "عمل ذا مرتب عالي "، "عمل كإطار"، نلاحظ كيف تطفو القيم العصرية على السطح كمحفز أساسي في واقع مادي.وذكر مبحوثين آخرين إضافة إلى العمل، الاستثمار: أن أكون صاحبة مؤسسة "،"أكوَن شركة استيراد وتصدير "، وذكروا أيضا الهجرة من أجل الحصول على مال أوفر.

كانت إجابات المبحوثين فيما يتعلق بامتلاك الوسائل المادية، لا تخرج من الواقعية، فطموحاتهم لا تتعدى ضروريات الحياة العصرية : الحصول على عمل من أجل المال، للحصول على بيت ، سيارة ، كمبيوتر محمول ، خط الإنترنيت ، مكتبة مليئة بالكتب ، أسفار إلى الخارج ، فطموحاتهم بسيطة لا تتعدى ضروريات الحياة العصرية ، وأشارت فئة أخرى إلى طموحات أكبر بالتركيز على نوعية العمل :"عمل ذا مستوى عالي "، "عمل في شركة بترولية "، "عمل حر "، " التجارة "، "منصبين عمل في آن واحد "، "عمل راقي يحقق لي الترقية الاجتماعية "، " الاستثمار "أن أكون صاحبة مؤسسة "، "صاحب شركة "، "شركة استيراد و تصدير " فالشباب وخاصة منهم الإناث طوروا طموحات جريئة ، مما يفسَر التغير الواضح في الوضعية الاجتماعية التي ارتقت إليها الفتيات مقارنة مع وضعيتهن في الأسرة الأبوية.

6 عصرنة العلاقات:

أ-الصداقة:

معظم المبحوثين لا يعلمون كيف سيكون رد فعلهم إذا طلب منهم أولياؤهم التخلي عن صديق بنسبة 35.47%، إذ كل هؤلاء لم يتعرضوا لمثل هذا الموقف مما يدل على عدم تدخل الأولياء في علاقاتهم، 10.68% صرحوا أنه بإمكانهم القبول إذا اقتنعوا بما يقوله الأولياء وإلاَ سيرفضون، 30.76%، أجابوا مباشرة بالرفض،و منهم من تعرض فعلا للموقف. أضاف المبحوثين لإجاباتهم جمل معبرة عن التصدي بقول : "أبدا لن أفعل ذالك "و"لن أفعل" و"سأستمر في علاقتي دون علمهما " و"هذا الأمر يخصني وحدي "، "طلبا مني لكني لم أصغي إليهما " ما يبيَن تغلب القيم العصرية بإحداث التصدي للأولياء، فرغم وجود القيم التقليدية بالخضوع و الطاعة لدى البعض بنسبة 25.64% ،لكن يبدو بأن القيم العصرية هي الأكثر تأثيرا ،نظرا لنسبتها المرتفعة نسبيا.

ب-العلاقات العاطفية:

عهد المجتمع ، علاقات بين الشباب من الجنسين ، سواء في إطار التعليم ،أو التكوين أو العمل أو خارجه ، فصداقة الذكور والإناث ، أصبحت ظاهرة جلية في المجتمع أكدتها الثقافة العالمية. فالمبحوثين من سن مختلفة لهم علاقات عاطفية بنسبة 50% أي نصف العينة، في حين باقي المبحوثين أكدوا على أن الفرصة لم تتوفر بعد فأجابوا بـ "ليس بعد " ، و" مستقبلا سيكون لي " وهذا يعني بأن هؤلاء المبحوثين من مؤيدي العلاقات العاطفية وهم في انتظار الفرصة السانحة ، والبعض كانت لهم ، حسب تصريحاتهم "مغامرات فاشلة " فهم يتريثون بعض الوقت قبل أن يبدؤوا من جديد. و معظم المبحوثين اللذين لهم علاقة عاطفية ،لم يحدَثوا أوليائهم عنها بنسبة 72.97%،و أكثر الممتنعين يعتبرون بأن الحديث مع أوليائهم في هذا الموضوع "مستحيلا "، "لم يحن الوقت بعد "، فالعلاقات العاطفية، وإن كانت منتشرة بكثرة في المجال الحضري ، إلا أن المبحوثين يفضلون إبقائها سرا.

7 التأثير السلبي للعولمة :

نسبة 8.11% ، بما في ذالك 5.21% من الذكور و 3.32% من الإناث صرحوا قيامهم ببعض الممارسات خفية عن الأهل. بحيث هم يعتبرون أنفسهم بالغين ، وبإمكانهم العيش وفق اختيارهم ، فيجربون المغامرات أو ما يدعوه البعض منهم بـ"ملذات الحياة "، لكن ذالك لم يمنع من أن تكون فئة عمر ما بين 15 و 20 سنة، التي لم تبلغ سن الرشد ممثلة أيضا لتجريب السرقة ،تناول المخدرات، شرب الخمر، لعب القمار وممارسة الجنس. الإناث اللواتي تتمردن على القيم الاجتماعية، تكسرن القيد بدأ بالتدخين ليصل الأمر إلى ممارسات أخرى محظورة اجتماعيا مثل الذكور.

67.09% كذلك من مجموع المبحوثين يخفون أشياء عن أوليائهم أهمها: العلاقات العاطفية، الانحراف، الإخفاق الدراسي، جانب العمل والبعض يخفون: " كل شيء " من أجل التوافق معهم وتجنب الشقاق.

و يعتبرون ذلك احتراما لهم. مما يبرز اقتناعهم بالقيم العصرية التي يرفضها الأولياء. فإن الوسط الأسري وخصوصا في بعض المواضيع ،يبقى محل سيادة للقيم التقليدية، فالمبحوثين لا يعيشون اختيارهم العصري بصفة إرادية كاملة سوى خارجه، لكنهم مصرون عليه.

8 الهوية الثقافية للمبحوثين:

نشاطات الشباب، طموحاتهم، علاقاتهم ومواقفهم التي كشفنا عنها تبين إلى أي مدى طغت الثقافة العصرية على حياة الشباب وعلى قيمهم الثقافية، فالممارسة ما هي إلا تعبيرا على القيم التي يحملها الشباب. وعند سؤالنا المباشر عن رأيهم في العصرنة و مدى تقبلها والمطالبة بها ،جاء التعبير عن إرادتهم إياها بنسبة 57.69% .

بنسبة 22.22% يعتبر المبحوثين أنفسهم عصريين في طريقة تفكيرهم: "أن لا أكون متخلفة "، ويبدو أن المبحوثين بطريقة إرادية ابتعدوا عن القيم التقليدية بانفتاحهم على القيم العصرية : "أنا منفتحة في بعض المواضيع"، "في تحضر أفكاري "، وكأمثلة على ذلك: "قبول الصداقة مع الجنسين "، "المساواة بين الرجال والنساء "، "تدعيم خروج المرأة للعمل واستقلاليتها المادية"، "قبول الاختلاط "، " الحرية في التفكير ".

نلاحظ أن هذه الأمثلة عن التفكير المنفتح والمتحضر تنطبق فعلا مع ثقافة العولمة المشجعة لتلك المواضيع، وتحدث قطيعة مع الثقافة التقليدية الرافضة لها، فالتضاد بين القيم يبدو واضحا على المستوى الفكري. فئة ثانية بنسبة 21.73% تعتبر انتماءها العصري باهتمامها بالمعرفة لعلمها بأن العلم هو دعامة العصرنة وأول طريق موصل لها، علما أن هؤلاء المبحوثين أغلبهم جامعيين .

في اتجاه أوسع، جاءت تصريحات مبحوثين آخرين من نفس الفئة : "أن أكون مثقفا "، "ثقافتي عصرية " ، مجال الثقافة الأكثر شمولية ، يخوضه بعض المبحوثين حتى يكونوا أكثر معرفة بالثقافة العصرية ،ويتم ذلك مثلما ذهبت إليه مجموعة أخرى عن طريق الاستعلام: "أستعلم عن كل ما هو جديد"، "أستعلم عن التكنولوجيا "، أي كل جديد يصدر في الثقافة العالمية.

هذه الأخيرة، كانت محورا ركزت عليه فئة أخرى من المبحوثين بنسبة 09.17%، يعتبرون أنفسهم عصريين كونهم متمكنين من التحكم في بعض التقنيات بما في ذلك: قيادة

السيارة، "استعمال وسائل الاتصال، استعمال الإعلام الآلي، استعمال الانترنت، فهؤلاء المبحوثين يعلمون أنهم بتمكنهم من استعمال تكنولوجيا العصر، فإنهم قد اكتسبوا قيم الثقافة العصرية.

أما مبحوثين آخرين بنسبة 20.77%، فإنهم يعتبرون أنفسهم عصريين بهيئتهم، إذا أنهم يعتمدون طريقة عصرية في لباسهم ،وفي تسريحة الشعر وفي التزين بقول: "اتبع الغرب في اللباس ".

واعتمد آخرون على الفعل، لاعتبار أنفسهم عصريين وتبلغ نسبتهم 18.37%:"في سلوكي مع الآخرين "، "في تعاملي مع الناس وتفهمهم "، "في الاحترام المتبادل "، "في حسن المعاملة والاحترام "، "في تواصلي مع الآخرين"، "حريتي النسبية في اتخاذ قراراتي ".

بهذه الصفة الأعمق، يعتبر أولئك المبحوثين أنهم منتمون إلى الثقافة العصرية، بحيث تؤكد هذه الأخيرة عن طريقة حضرية في التعامل. ويبدو تأثر المبحوثين بتلك المبادئ واضحا مما يدل على استيعابهم الكامل لها. وبنسبة 05.79%، وبأكثر قوة للتأثر، عَبر مبحوثين عن عصرنتهم بنموذج العيش ككل: "نموذج معيشتي عصري ".

وهذا يعني أن المبحوثين يعيشون العصرنة بأفكارهم وسلوكهم وهيئتهم ومعرفتهم لميادينها ، فتصريحهم الشامل يعني إدراكهم الكبير لانتمائهم. بينما فئة بنسبة 01.93%، فإنها تعتبر نفسها عصرية بانتماء جزئي لا يتجاوز ميدان التسلية: "في الأسفار" و"السياحة"، "تعلمي الموسيقى وحبي لها"، "في التسلية " ، فالنظام العصري جعل مظاهر التسلية تتعدد وتتنوع ، بالتالي الاهتمام بها نفسه هو تعبير عن الحياة العصرية.

يبدو أن النسب المصرحة بانتمائها للعصرنة ، تعتبر نفسها عصرية في ميادين معينة ، وقد ذكر العديد من المبحوثين أكثر من ميدان. فالمبحوثون في أغلبيتهم واعون تماما أن طريقة تفكيرهم قد تغيرت وكذلك سلوكهم وهيئتهم. ووعيهم يبيَن إدراكهم التام لرغبتهم في الانتماء لهذه الثقافة.

9 أثر العولمة في تذبذب القيم:

لم يعي المبحوثون ولم يدركوا بأنهم منسقين لهذه الثقافة دون ترتيب لأفكارهم وانتباه لقيمهم إذ التذبذب في توجيهها يعد واضحا: فعند إجابتهم لأسئلة أخرى كانت مواقفهم متناقضة مع هذا التوجه العصري.

نسبة59.78 % يمثلها المبحوثون الذين أكدوا بأنهم يطالبون من أخواتهم الإناث تبرير تصرفاتهن، وتدخل الإخوة في حياتهن يعتبره هؤلاء "حماية لهن "، "وواجبا أسريا "،هنا يتجلى التأثير التقليدي لنفس المبحوثين العصريين.

معظم المبحوثين الذكور يطلبون من أخواتهم البنات تبرير تصرفاتهم ، ومعظمهم أيضا يتتبعون هيئتهن وأغلبهم لهم مجالات تدخل متعددة، لمراقبة سلوكهن، مما يعني أنهم يشكّون كثيرا بأنهن ستخطئن بل نجدهم متأكدين من خطئهن مثلما تعتبرهن الثقافة التقليدية، وسواء كانت قيمة الشرف مستمدة من التقاليد أو الدين مثلما أشار أحد المبحوثين، فهي ذات دلالة واضحة تجعل الذكور بذلك مسئولين أمام المجتمع المنتقد، لهم، فيثورون أمام كل علاقة مشبوهة للإناث مع الذكور وبدرجة مرتفعة من الرفض: "صراحة إذا وجدت أختي مع شاب أقتلها "،هذا التعبير يبين درجة التمسك بالثقافة التقليدية ، وبالأخص قيمة الشرف التي ترتكز أساسا على تصرفات الإناث مع أن انحرافات الذكور كثيرا ما تحط منه، في حين الكثير من المبحوثين الذكور سمحوا لأنفسهم بأن تكون لديهم علاقات عاطفية وفضلوا إخفاءها عن الأولياء علما برفضهم لها و استدلوا برفض التقاليد و الدين لها، فالمبحوثين لم يعوا بأن انتمائهم لثقافة العولمة جعل مواقفهم متذبذبة فهم غير واعون فعلا بكل جوانب حياتهم ليحدثوا ترابطا بينها.

خلاصة البحث :

الانتماء إلى العولمة صار مفروضا لأنها ثقافة العلم والتكنولوجيا والتسلية والأناقة والجمال والتحضر في التعامل مثلما ذكر المبحوثين، فلانتماء إليها لا مناص منه. وإن قضايا الشرف وإرضاء الوالدين التي تقف وراءها القيم التقليدية والدينية مثلما اعترف المبحوثين أنفسهم ليست مجال إنكار أو إلغاء كونها "جزء من هويتهم "حسب تعبيرهم، فأغلبهم صرحوا باحترامها كونها "ثقافة الذات والهوية "، لكن عمليا، ممارساتهم وقناعتهم نجدها منساقة أكثر نحو ثقافة العصر، في حين تتدخل الثقافة الأصلية للتخفيف من حدَة التوتر مع الأولياء كإخفاء عنهم ما يكرهون أو يرفضونه "احتراما لهم "، أو تنصب على تصرفات البنات بحجة الشرف.

وفي الأخير نشير إلى أن المواقف والمواضيع التي دلت على تأثير ثقافة العولمة مسيطرة على هوية الشباب بنسبة 56.25% مقابل المواقف الدالة على ثقافة الذات.

متطلبات الحياة العصرية تطرح اهتمامات متعددة، وإرضائها يضع الأفراد في مواجهة واقعا ماديا صعبا يشتت التفكير، لذالك لا يتجه تفكير الكثير من الأفراد إلى التساؤل عن الواقع الثقافي الذي يعيشونه، والتساؤل عن النموذج الثقافي الأوثق لهم الذي يضمن لهم الاستقرار النفسي، والذي تنبثق منه القيم التي تلائم حياتهم، لا يتساءلون عن اختيار نموذج ثقافي أو التوفيق بين محاسن نموذجين، أو التركيب بين قيم متكاملة ضمن نموذج خاص يكونونه بمفردهم لتخطي التذبذب أو التناقض بين القيم الثقافية التي تبنى عليها حياتهم الاجتماعية وتصدر منها مواقفهم وممارساتهم، لذالك يجدر بالمهتمين والمختصَين توعيتهم وتوجيههم بالتركيز على الشباب الذين سيصبحون أولياء ينشئون جيلا.

التوعية ستندرج ضمن برامجهم التعليمية، التي تحتاج إلى إدراج المفهوم العلمي للثقافة كمادة تدرس لانطوائه على تداخل عدة معاني يحتاج الطلاب إلى تعلمها بما في ذلك الهوية، الشخصية، القيم، التقاليد، المعتقدات، الحضارة والعولمة، حتى يتعلم هؤلاء أن الثقافة هي التي تحدد التوجه نحو العلم أو إهماله وهي تثري و تنشط الاقتصاد وحتى يفهم هؤلاء ما يعيشونه ويسهل عليهم اختيار سلّم القيم الذي يخلوا من التناقض.

الهوامش :

[1] - Malinowski (Bronislow), **Une théorie scientifique de la culture et autres essais**, trad. Pierre Eluiquart, Maspero, Paris, 1970.

[2]- Chombart de Lawe (Paul- Henri), **image de la culture**, Ouvrière, Paris, 1966, p.22.

[3]- Bastide(Roger), « Problème de l'enseignement des civilisations et de leurs œuvres », in Gurvitch (Georges) **Traité de sociologie,** PUF, Paris 1960, vol . II P.318.

[4] - Ibid p.235.

[5] - Merton in, Dubar (Claude), **La Socialisation** ,3ème éd, Armand Colin, Paris, 2002.

[6]- علي (وطفة)، "الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي"، **دراسات عربية**، ع.192، دار الطليعة، بيروت، 1995، ص 81.

[7] - ابن خلدون(عبد الرحمان)، **المقدمة**، دار الجيل بيروت. بدون تاريخ ص.162.

[8] -Tylor Edward in, Cuche (Denys), **la notion de culture dans les sciences sociales**, Casbah, Alger, 1998 ,p.16.

[9]- Warnier (Jean Pierre), **La mondialisation de la culture,** Casbah Alger, 1999, pp.11-12.

[10]- خالد عبد الله القاسم، "العولمة و آثارها على الهوية"[2 /1] 2006، على الموقع http//islamotoday.net/bohooth /services/saveart-86-73335.htm #32

[11]- Cuche (Denis) op.cit, p.83.

[12] - زغو محمد ،" أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب "، في **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية** ، 2010**العدد**، 4، ص. 95.

[13]- محمد سمير المنير ، **العولمة والعالم بلا هوية** ، دار الكلمة للنشر و التوزيع ،ط 1 ، المنصورة ، 2000، ص.146.

[14]-هنتنجتون صامويل ، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ، ترجمة طلعت الشايب. ط 2، 1999 ، ص:116 .

[15]- عبد الباقي حمدي ، عرض لكتاب : بدائل العولمة لسعيد الاوندي ،مجلة **حصاد الفكر**، العدد 135،القاهرة.2003 ، ص 36

[16]- سعد البازعي ،" المثقفون و العولمة و الضرورة و الضرر "، **سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن و العولمة من يربي الآخر**، الطبعة الأولى، 1999،ص.73.

[17]- غليون(برهان)،امين (سمير)،**ثقافة العولمة و عولمة اثقافة** دار الفكر،دار الفكر المعاصر،دمشق، لبنان،2000.ص .ص.140-218

[18] -J.p. Warnier, Op.Cit. p.41-42.

[19] Ibid. p.21.

[20]Chambart de Lawe (Paul Henry), **Pour une sociologie des aspirations, élément pour des perspectives nouvelles en sciences humaines**, Denoël, Paris.1969,p.21.

[21] -Sous la direction de Gagné (Gilbert) ,**La diversité culturelle vers une convention internationale effective ?** Québec, Fides, 2005.

[22]- عمار طالبي ،" العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق "، **مجلة الرائد**، الدار الإسلامية للإعلام ألمانيا، العدد 236، 2002، ص:12 .

[23]- سعد البازعي ،المرجع السابق ، ص.73.

[24] - محمد بن سمينة ،"العولمة و آثارها على الثقافة الإسلامية"، **مجلة الثقافة الإسلامية**، العدد الثاني، الجزائر،2006 ص. 79-80.

[25] - سمير الطرابلسي، "العرب في مواجهة العولمة " ، **سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر**، ط 1، 1999 ، ص 51-52

[26] - إسماعيل علي محمد، **العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، طبعة 1-، 2001 ، ص: 27.

[27]- عبد القادر رزيق المخادمي ،**النظام الدولي الجديد ، الثابت والمتغير**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الثالثة ، 2006 ، الجزائر، ص 66-67.

[28] -Balandier (Georges), « Déséquilibres Socioculturels et modernisation des pays sous développes » , , **Cahiers internationaux de sociologie**. Vol.XVI, Javier –Juin, 1956. p.30-31 .

[29]- Bouhdiba (Abdelwahab),**Quêtes sociologiques ,continuité et rupture au Maghreb,** CERES, Tunis, 1995, p.210.

[30] - Addi (Lahouari), Addi (Lahouari), **Les Mutations de la société algérienne , famille et lien social dans l'Algérie contemporaine**,La Découverte ,Paris 1999, p 17.

[31]-Boutefnouchet(Mostefa),**La société Algérienne en transition** ,O.P.U.Alger ,2004 .p30.

قائمة المراجع :

1)-ابن خلدون(عبد الرحمان)، **المقدمة**، دار الجيل بيروت. بدون تاريخ.

2)- إسماعيل علي محمد، **العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، طبعة 1- 2001.

3)-برهان غليون، سمير أمين، **ثقافة العولمة و عولمة الثقافة** دار الفكر، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، لبنان،2000.

4)-زغو محمد ،" أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب "، في **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية** ، 2010 **العدد**، 4.

5)-(علي (وطفة)، "الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي"، **دراسات عربية**، ع.192، دار الطليعة، بيروت، 1995.

6)-عمار طالبي،" العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق "، **مجلة الرائد**، الدار الإسلامية للإعلام ألمانيا، العدد 236، 2002.

7)-عبد الباقي حمدي، عرض لكتاب: بدائل العولمة لسعيد الاوندي، **مجلة حصاد الفكر**، العدد 135، القاهرة، 2003 .

 831)- عبد القادر رزيق المخادمي **النظام الدولي الجديد، الثابت والمتغير** ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الثالثة، الجزائر 2006 .

9)-محمد بن سمينة، "العولمة و آثارها على الثقافة الإسلامية"، **مجلة الثقافة الإسلامية**، العدد الثاني، الجزائر،2006 .
10)- محمد سمير المنير، **العولمة والعالم بلا هوية**، دار الكلمة للنشر و التوزيع، ط 1، المنصورة ، 2000.
11)-سعد البازعي ،" المثقفون و العولمة و الضرورة و الضرر "، **سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن و العولمة من يربي الآخر**، الطبعة الأولى، 1999.
12)-سمير الطرابلسي ، "العرب في مواجهة العولمة " ، **سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر**، ط 1، 1999.
13- هنتنجتون صامويل ، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب ط 1999.

14)-Addi (Lahouari), Addi (Lahouari), **Les Mutations de la société algérienne , famille et lien social dans l'Algérie contemporaine**,La Découverte ,Paris 1999.
15)- Balandier (Georges), « Déséquilibres Socioculturels et modernisation des pays sous développes» , **Cahiers internationaux de sociologie**. Vol.XVI, Javier –Juin, 1956.
16) -Bastide(Roger), « Problème de l'enseignement des civilisations et de leurs œuvres », in Gurvitch (Georges) **Traité de sociologie,** PUF, Paris 1960, vol . II
17) -Bouhdiba (Abdelwahab) **Quêtes sociologiques, continuité et rupture au, Maghreb ,** CERES, Tunis, 1995.

18)- Boutefnouchet(Mostefa),**La société Algérienne en transition** ,O.P.U.Alger ,2004.

19)- Chambart de Lawe (Paul Henry), **Pour une sociologie des aspirations, élément pour des perspectives nouvelles en sciences humaines**, Denoël, Paris.1969.

20)- Cuche (Denys), **la notion de la culture dans les sciences sociales**, Casbah, Alger, 1998.

21)- Dubar (Claude), **La Socialisation** ,3ème éd, Armand Colin, Paris, 2002.

22)- Sous la direction de Gagné (Gilbert) ,**La diversité culturelle vers une convention internationale effective ?** Québec, Fides, 2005.
23) - Malinowski (Bronislow), **Une théorie scientifique de la culture et autres essais**, trad Pierre Eluiquart, Maspero, Paris, 1970.
24)- Warnier (Jean Pierre), **La mondialisation de la culture,** Casbah Alger, 1999.
25)- خالد عبد الله القاسم، "العولمة و آثارها على الهوية"[2 /1] 2006، على الموقع http//islamotoday.net/bohooth /services/saveart-86-73335.htm #32